وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْـَٔاخِرَةَ
لَهِىَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
الْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ لبست الدنيا إلا كالشيء التافه الحقير، يتلهى به الجاهل، كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، والغرض تحقير شأن الدنيا، بحيث لا ينخدع بها المؤمن ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ والآخرة هي دار السرور والحبور، وهي الحياة الدائمة الخالدة، التي لا تعب فيها ولا نصب، ومعنى الحيوان: الحياة الرغيدة السعيدة ﴿رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن وخافوا الغرق ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أخلصوا في دعائهم لله لعلمهم أنه لا يكشف الشدائد إلا الله رب العالمين

الجزء ٢١ الحزب ١١

﴿نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ فلما أنقذهم من أهوال البحر، وأوصلهم إلى البر ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عادوا إلى الكفر والعصيان، وعبادة الأوثان ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾ يُختطفون من حولهم ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أليس في جهنم مسكن ومأوى، لهؤلاء الكفار الفجار؟ ﴿سُبُلَنَا﴾ لهديهم إلى طريق السعادة والجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون، قال البوصيري:

وجاهد النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

سورة الروم

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ هزم جيش الروم ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أقرب أرض الروم إلى فارس ﴿غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وهم من بعد انهزامهم أمام الفرس، سيغلبون الفرس وينتصرون عليهم ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ في زمن قصير ما بين الثلاث إلى التسع سنين، وهذا إخبار عن أمرٍ غيبيٍّ، وقد حدث ما أخبر عنه القرآن الكريم، فكان في هذا أعظم البرهان على صدق نبوة محمد ﷺ.

سورة الروم
وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ ذلك وعدٌ مؤكد لا بدَّ أن يتحقَّق وهو انتصار الروم على فارس، لأن الله لا يخلف الميعاد ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ عظمة الله وقدرته ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ الكفار الغافلون عن الآخرة، يعلمون أمور الدنيا ومصالحها، كيف يزرعون؟ ومتى يحصدون؟ وكيف يبنون!! عرفوا القشور دون اللباب، عرفوا ملاذَّها وشهواتها، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ وهم عميٌ عن الآخرة، ساهون غافلون، لا يفكرون فيها ولا يعتبرون!! نفى تعالى عنهم العلم الصحيح النافع ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأثبت لهم العلم السطحي الظاهر، وهو أمور الزراعة، والصناعة، والتجارة همُّهم ملء البطون بلذيذ الطعام كالبهائم، ونيل متعة الجنس، أمَّا الآخرة فلا تدخل في الحسبان ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حرثوها للزراعة ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بالأبنية والقصور الشاهقة أكثر مما عمرها كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الواضحة فكذبوهم ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فأهلكهم الله بذنوبهم ولم يهلكهم ظلماً ﴿السُّوأَىٰ﴾ كانت عاقبة المكذبين للرسل أسوأ العقوبات وأفظعها حيث دمَّرهم الله ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ييأس المجرمون من رحمة الله وتنقطع حجتهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ينقسمون فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسرُّون وينعَّمون.

قال الحسن البصري: والله لئن اجتمعوا في الدنيا، فليتفرقُنّ يوم القيامة، هؤلاء في أعلى عليِّين، وهؤلاء في أسفل سافلين.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿مُحْضَرُونَ﴾ للعذاب، كالمجرم الذي يساق إلى السجن، لينال العقاب ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ وقت الظهيرة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الإنسان من النطفة، والشجرة من النواة، والنبات من الحب ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ الطير من البيضة، والنطفة من الإنسان، والبيضة من الدجاجة، ويروى عن ابن عباس: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ تتحركون لمكاسبكم ومعايشكم ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليهن وتألفوهن ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ جعل بين الأزواج والزوجات المحبة والشفقة، ولولا هذه المودة والمحبة ما عطف رجل على امرأة، ولا دامت الألفة بينهما ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ اختلاف اللغات، من عربية، وهندية، وإنجليزية وغيرها من اللغات التي لا تحصى ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ ما بين أبيض، وأسود، وأحمر، مع أنهم جميعاً من ذرية آدم ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ طلبكم للرزق والكسب في النهار ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ من آياته الباهرة الدالة على قدرته ووحدانيته، أنه يريكم البرق خوفاً من الصواعق التي فيه، وطمعاً في الغيث والمطر، والسحابُ يحمل معه (الصواعق) وهي عذاب، و (المطر) وهو رحمة، والماءُ يطفئ النار، فكيف اجتمع الضدّان في الشيء الواحد؟ إنها القدرةُ المُبْدِعَةُ، قال الشاعر:

جَمْعُ النَّقيضَيْن من أسرارِ قُدْرته هذا السَّحابُ به (ماءٌ) به (نارُ)

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ تقف السماء بدون أعمدة، وتظل الأرض في حركتها ودورانها دون أن تنقلب بأهلها وسكانها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته تعالى وتدبيره ﴿دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ثم إذا دعاكم للخروج من القبور، تخرجون فوراً دون إبطاء ﴿قَٰنِتُونَ﴾ مطيعون منقادون لأمره وحكمه ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ هيّن عليه، وليس اسم تفضيل لأنه لا شيء عند الله صعبٌ، وشيء أهونُ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ صفات الكمال التي لا يشابهه فيها أحد ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ضرب الله لكم مثلاً من واقع حياتكم، تدركونه بأنفسكم ﴿هَل لَّكُم﴾؟ هل يرضى أحدكم أن يكون عبده ومملوكه شريكاً له في ماله؟ ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ تخافون على أموالكم من عبيدكم ومماليككم، كما تخافون عليها من اللصوص؟

وخلاصة المثل: إذا كنتم لا ترضون أن يشارككم عبيدكم في أموالكم، فكيف تقبلون أن يكون لله شركاء في مخلوقاته؟ ﴿حَنِيفًا﴾ استقم على دين الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ دين الله الذي خلق عليه البشر، وجبلهم عليه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لا تغيير لتلك الفطرة السليمة ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه بالتوبة ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً وأحزاباً مختلفة الأهواء ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كلُّ جماعةٍ وفرقة مسرورون، راضون بما هم عليه من الدين الأعوج، ظناً منهم أنهم على هدى وحقّ، وهم غارقون في الغيّ والضلال.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

﴿مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ قحط وجدب ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ ملتجئين إليه وتركوا الأصنام ﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ فرّج كربتهم، وأنزل عليهم المطر ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ رجعوا إلى عبادة الأوثان، ونسوا ربهم الذي أغاثهم ونجّاهم ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ ليكفروا بنعم الله التي أغدقها عليهم ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وليتمتعوا بهذه الحياة الفانية، فسوف يعلمون عاقبة الكفر والضلال وهو وعيد وتهديد ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ هل أنزلنا على هؤلاء المشركين حجة ظاهرة؟ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ فهو ينطق ويشهد عليهم بصحة ما هم عليه من الكفر والإشراك؟ ﴿أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ من رزقٍ وصحة، وغنى ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فرح بطر وأشر ﴿يَقْنَطُونَ﴾ ييأسون ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الذي انقطع في سفره ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يزيد ولا يثمر عند الله تعالى، لأنه مال حرام، وكسب خبيث لا يبارك الله فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ دفعتم إلى الفقراء والمساكين من زكاة أموالكم ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تريدون بذلك وجه الله، فهو الذي يُنمّيه الله، ويبارك فيه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ الذين تتضاعف لهم الأعمال الصالحة، ويبارك الله لهم في إنفاقهم وصدقاتهم، وفي الحديث الشريف: «**إن الله قسّم بينكم أخلاقكم، كما قسّم بينكم أرزاقكم، وإنَّ اللهَ يُعطي الدنيا لمن يُحبُّ، ولمن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الدينَ إلَّا لمن أحبَّه، والذي نفسي بيده لا يكسب عبدٌ مالاً من حرام، فيبارك له فيه، ولا يتصدَّق منه فيقبله الله، ولا يتركه خلفه، إلا كان زاده إلى جهنم، إنَّ الله لا يمحو الخبيثَ بالخبيثِ، ولكنْ يمحو الخبيثَ بالطيِّب**» رواه أحمد.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اعتصمْ بدين الإسلام الذي أوحاه الله إليك، فهو الدين القيم أي المستقيم ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرّقون إلى الجنة أو إلى النار ﴿يَمْهَدُونَ﴾ يهيئون لهم فراشاً للنوم عليه، شبّه من عمل الأعمال الصالحة، بمن يمهّد فراشه ويهيئه للنوم عليه، وهو من لطيف الاستعارة ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بنزول المطر ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تسير السفن في البحر بتدبيره سبحانه وتقديره ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات، والحجج النيرات ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ في الآية محذوف تقديره: فكذبوهم فانتقمنا من الكفرة المجرمين ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تحرّك السحاب وتسوقه أمامها ﴿يَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ينشره في أعالي الجو ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعاً متفرّقة أحياناً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ ترى المطر يخرج من بين ثنايا السحاب ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ إذا نزل المطر عليهم يُسرّون ويفرحون لمجيء الخصب، وزوال القحط ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ كانوا قبل نزول المطر يائسين قانطين ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إنّ الذي أحيا الأرض الميتة بالمطر، هو الذي يحيي الخلق بعد موتهم، ففيه تشبيه إحياء الأموات، بإحياء الأراضي المجدبة القاحلة، والله على كل شيء قدير، وقد ساق القرآن الآية، كبرهانٍ عقلي على عقيدة (البعث والنشور) فالذي يُحيي الأرض الميتة بالمطر، هو الذي يُحيي الأموات من البشر، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكفى بها حجةً واضحةً!!

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
(٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣) ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ (٥٤)
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

الجزء ٢١ ربع

﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ إذا أرسلنا على الزرع ريحاً ضارة مفسدة ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ رأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ لاستمروا يجحدون النعمة، فهم عند الخصب يفرحون، وإذا جاءتهم مصيبة جحدوا سابق نعمة الله عليهم ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ الكفار موتى القلوب ﴿بِهَادِ الْعُمْيِ﴾ ولست تهدي من أعمى الله بصيرته ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ لا تسمع سماع انتفاع إلا المؤمنين أهل التفكر والتدبر، والآية تشبيه للكفار بالموتى، وبالصم والعمي، لأنهم لم ينتفعوا بحواسهم، فإن من يرى الكون وما فيه من دقائق الصنعة والإبداع، ثم لا يؤمن بالله، فإنه ميت القلب والحسّ، ولا يراد (بالموتى) الأموات الذين فارقوا الحياة، **قال الحافظ ابن كثير:** والصحيح أن الميت يسمع، ويحسّ بمن يسلّم عليه أو يزوره، ويستبشر به للأحاديث الكثيرة الشهيرة ﴿مِن ضَعْفٍ﴾ من شيء ضعيف هو المنيّ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الهدى إلى الضلال ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يُطلب منهم أن يُرضوا ربهم بتوبة أو طاعة، لأن وقت التوبة والإيمان قد فات، يقال في اللغة: استعتبته فأعتبني أي استرضيته واعتذرت إليه فقبل عذري ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ بيّنا في هذا القرآن المواعظ، وضربنا فيه الأمثال المتنوّعة ليتذكروا ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ ولئن جئت المشركين بكل معجزة ممّا اقترحوه لا يؤمنون، ويقولون: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ ما أنتم إلا مفترون، تكذبون علينا لتدخل في ديننا ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ لا يحملنك على الضجر والخفّة، الضالون الشاكون في قدرة الله تعالى.